

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

#### من هو العظيم عند الله ؟

أيها الأخوة الأكارم، مع الدرس الرابع من دروس سير صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصحابي اليوم؛ سيُدنا عبد الرحمن بن عوف، وقبل أن نبدأ الحديث عن هذا الصحابي الجليل لا بدّ من مقدمة .  
خلاصة المقدمة هي أن أصحاب النبي عليهم رضوان الله بمجموعهم يمثلون كل النماذج البشرية، ففي كل مجتمع غنيٌّ وفقير، قويٌّ وضعيف، شابٌّ وكهلٌ وشيخ، صحيح ومريض، ذو نسب عالٍ، وذو ضالة في النسب، هذه الحظوظ التي وزَّعها الله بين البشر موجودة في كل مجتمع  
لذلك يجب أن نعلم أن الإنسان إذا عرف الله واتصل به، واصطبغ بصبغته ارتقى إلى مرتبة عالية، فإذا كان غنياً اشتَهيت الغنى عليه، وإذا كان فقيراً لا ترى الفقر ضيراً على مؤمن، وإذا كان صحيحاً جعل صحته في سبيل الله، وإذا كان مريضاً رأيت فيه الصبر والسلوان، وإن كان وجيهاً استخدم جاهته في الحق، وإن كان خاملاً استغنى برضاء الله عن الدنيا، الذي أريد أن أوكدّه لكم أنه بأيّ حال أنت، بأيّ وضع اجتماعي، بأيّة قوة، بأيّ ضعف، بأيّ غنى، بأيّ فقر، بأيّ جاهة، وبأيّ خمول، بأيّ وسامة، وبأيّ دمامة، فإذا عرفت الله عز وجل، وطبقت منهجه، واصطبغت بصبغته كنت إنساناً عظيماً .

قد يظن الناس واهمين أن الغنى يتناقض مع الإيمان، من قال ذلك؟ يمكن أن تكون أغنى أغنياء الأرض، وفي أعلى درجات الإيمان والقبول عند الله عز وجل، يمكن أن تكون من أقوى الأقوياء وأنت مؤمن، لماذا حدثنا ربنا عز وجل عن ذي القرنين؟ كان ملكاً، ولا يتنافى الملك مع الإيمان، فقد تكون فقيراً وأنت عند الله عظيم .  
في نفسي معنى أرجو الله أن يمكنني من التعبير عنه، لا تقل: أنا ابن فلان، لا تقل: أنا لي نسب رفيع، أو لي نسب وضيع، لا تقل: أنا فقير، لا تقل: أنا شاب، كن ابن من شئت، في أيّ حال شئت، وفي أيّ طور شئت، وفي أيّ مستوى شئت، فإذا عرفت الله، وعرفت منهجه، وطبقت شرعه، وأقبلت عليه، واصطبغت بصبغته، فأنت عند الله عظيم .

## ما هو المقصود من هذا الدرس ؟

نحن اليوم مع صحابي كان من أغنى الصحابة، سأريكم كيف يكون الغنى مع الإيمان؟ قد يقول أحدكم: قد مرّ بنا تاريخ الصحابة كثيراً في أوقات خلت، فأقول: كلكم يعلم أنّ في التعليم الإعدادي والثانوي والابتدائي مثلاً نصّاً للمنتبّي، قد تجده في كتاب الصف الخامس، وتجده في كتاب الصف الثامن، والنص نفسه تجده في كتاب الصف الحادي عشر، والنص نفسه يدرسه طلاب الجامعة في السنة الثالثة في الأدب العباسي، أن يكون النص واحداً في كل هذه المراحل، هل يعني ذلك أن مستوى التدريس واحد؟ لا، نحن عندما كنا في الجامعة كان الأستاذ رحمه الله يمضي ساعتين في شرح بيتين من الشعر، فيظل يشرحها، ويحللها، ويبين معنى كلماتها، و معنى تراكيبها وصورها، إلى أن يشخب هذان البيتان دماً .

فذلك ولو أن هذا الصحابي معروف عندكم، ولكن لا أريد في هذه الدروس الجديدة من السيرة أن أكتفي بسرده الوقائع، هذه قد تجدونها في كتب السيرة، والكتاب يغني عن الدرس، لكن أرجو الله عز وجل أن يوفّقني إلى تحليل هذه الوقائع، ومركز التقل في هذا الدرس هو التحليل وليس السرد .

## إليك قصة قافلة عبد الرحمن بن عوف التي هزت عرش المدينة وما وراءها من أحداث :

مرة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم سُمع في المدينة ضجيجٌ، وتعالى غبارٌ في الأفق، فسألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقد ترامى إلى سمعها أن قافلة عظيمة زاحفة إلى المدينة: ما هذا الذي يحدث في المدينة؟ فقالوا لها: يا أم المؤمنين، إنها قافلة لعبد الرحمن بن عوف، جاءت من الشام تحمل تجارة له، قالت أم المؤمنين: قافلة تحدث كل هذه الضجة! قالوا: أجل يا أم المؤمنين، إنها سبعمئة راحلة .

تصوّر قافلة شاحنات عددها سبعمئة تراها على الساحل، فتستيق نفسك بها، و في عدّها، قافلة واحدة لهذا الصحابي الجليل، فهزّت أم المؤمنين رأسها وأرسلت نظراتها الثاقبة بعيداً كأنها تبحث عن شيء، عن ذكرى مرّت بها، أو عن حديث سمعته، ثم قالت:

**((أما إني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: رأيتُ عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً))**

يعني زحفاً، عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً! ولماذا لا يدخلها وثباً وجرياً وركضاً وخبياً؟ فإنه من أصحاب رسول الله، وإنه من السابقين السابقين، من أصحاب رسول الله الذين شهدوا بدرًا وأحدًا والخندق، وهاجروا إلى الحبشة مرتين، وكان ثامن مسلم دخل الإسلام، أسلم على يد سيدنا أبي بكر، وهذا الصحابي الجليل من العشرة المبشرين بالجنة، ويدخلها حبواً! لكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، والنبي عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيّ يوحى .

## ما هو الخبر الذي نقل إلى عبد الرحمن بن عوف، وما هو موقفه منه ؟

أيها الأخوة، سيدنا عبد الرحمن بن عوف نقل إليه بعض الصحابة نقلاً، نقل نصيحة لا نقل نميمة، وهناك فرق كبير بين أن تتقل الخبر شامتا، وبين أن تتقله ناصحاً، وبالمناسبة أعجبنى أخ كريم رأى أمراً منكراً، فقد رأى إنساناً يقدم على منكر في مكان يرأسه رجل طيب، فقال له: إن فعلت هذا فسأبلغ فلاناً، فإذا استدعاك فلانٌ فأنا الذي بلغته، أنا أعجبنى هذا الموقف .

مرّة غلامٌ صغير سمع عمّه، يقول: لو أن محمداً صادق فيما يقول فنحن شرٌّ من الحُمُرِ ، عهدُهُ بعمّه أنه مؤمن، فإذا به كافر، فقد قال له: هذه كلمة كفر، والله يا عمّاه ما رجلٌ تحت قبة السماء بعد رسول الله، أحبُّ إليّ منك، ولكنني سأبلغ رسول الله، هذه كلمة كفر لا مجاملة فيها، فإذا تجاملنا مجاملات بكلام غلط، أو بكلام فيه إساءة وتجاوز، فهذا مجتمع المنافقين، ولا نرقى بهذه الطريقة، ولكن مجتمع المؤمنين فيه غيرة شديدة، والقصة لها وقت آخر، وذكر هذا الغلامُ الخبرَ للنبي عليه الصلاة والسلام، واستدعاه النبي عليه الصلاة والسلام فأنكر، قال يا رسول الله: إن هذا غلامٌ كذاب، أنا أقول هذا الكلام؟ فنزل الوحي مصدقاً قول الغلام، فأمسك النبيُّ بأذن الغلام متحبباً: لقد صدّقك الله من فوق سبع سموات، وكانت توبة هذا المنافق على يد هذا الغلام، فهو لاء الذين أوصلوا هذا الكلام إلى سيدنا عبد الرحمن ليسوا نامين، ولكنهم ناصحون، ونقل بعض أصحابه مقالة عائشة رضي الله عنها . فتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مرّة، وأكثر من صيغة، وقبل أن تفضّ مغاليق الأحمال حتّ خطاه إلى بيت عائشة، وقال لها: لقد ذكرتني بحديث لم أنسه، ثم قال: أما إني أشهدك أن هذه القافلة كلها بأعمالها وأقتابها وأحلاسها في سبيل الله، ثم قال: والله لأدخلنّها خبيّاً ليس حيّواً .

### كيف نوحّد القول بين ما ورد في حديث رسول الله وقول عبد الرحمن بن عوف ؟

هناك مُشكلة، وهي أن أمنا عائشة تسّمع من النبي عليه الصلاة والسلام - وهو الذي لا ينطق عن الهوى - أن سيدنا عبد الرحمن بن عوف سيُدخل الجنّة حيّواً، يُعقل أن يقول عبد الرحمن مُتحدّياً قول النبي عليه الصلاة والسلام: والله لأدخلنّها خبيّاً؟ وفي روايةٍ أخرى:

**((وما عليّ إن تصدّقت مئة في الصباح، فيؤتيني الله ألفاً في المساء))**

حلّت هذه المُشكلة بهذا الحديث الذي قاله النبي صلى الله عليه وسلّم لسيدنا بن عوف:

**((يا ابن عوف إنك من الأغنياء، وإنك ستدخل الجنّة حيّواً، فأقرض الله يطلق لك قدميك))**

أعطاه الحل، إن لم تُنفق بسخاء تدخلها حيّواً، فإذا أقرضت الله عز وجل أطلق الله قدميك فدخلتها خبيّاً وجرياً، القضيّة حلّت، إذ إن الحلّ معه، والنبي الكريم صلى الله عليه وسلّم ما أراد أن ينبّطه، وما أراد أن يجعله بيّأس، قال له: إنك غنيّ، والأغنياء عادةً تشغلهم أموالهم، وتتميّه أموالهم واستثمارها، والمال الوفير يحتاج إلى وسائل رفاه، وهذه الوسائل تشغل صاحب المال عن ذكر الله، قال تعالى:

**﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنِ طَغَى \* أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْنَى \* إِنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الرَّجْعَى﴾**

فالنبي لم يقصد عبد الرحمن بالذات، إنما قال: إنك غني، والأغنياء عادة مشغولون بأموالهم، فإذا آمنوا واستقاموا دخلوا الجنة حبواً، أقرض الله يُطلق لك قَدَمَيْكَ، فهو يعرف الطريق، ولما قال: سبعمئة راحلة في سبيل الله، والله لأدخلنَّها خبياءً، فالنبي صلى الله عليه وسلم ما أراد أن يُنبِّطه، ويجعل مصيره مصيراً محتوماً، والقولُ الشهير الذي ورد عن النبي:

**((خُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا شِئْتَ، وَخُذْ بِقَدْرِهَا هَمًّا، وَمَنْ أَخَذَ مِنَ الدُّنْيَا فَوْقَ مَا يَكْفِيهِ أَخَذَ مِنْ حَتْفِهِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ))**

[ورد في الأثر]

### المال وسيلة عند ابن عوف وليس غايته :

أيها الأخوة، هذا هو عبد الرحمن بن عوف، هذا هو الغنيُّ المؤمن، هذا الذي يكون سيِّد المال، وليس عبداً له، هذا الذي يستخدم المال في سبيل الجنة، في سبيل مرضاة الله عز وجل، في سبيل أن يفوز بجنةٍ عرضها السموات والأرض، في سبيل أن يرضى الله عنه، هذا الصحابي الجليل هو أحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، عرض عليه أبو بكر الإسلام هو وعثمان بن عفان والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص فما غمَّ عليهم الأمر، ولا أبطؤوا، بل سارَعوا مع الصديق إلى النبي عليه الصلاة والسلام يُبايعونه، ويحملون لواءه، معنى ذلك لما ينشرُ صدرك للحق فهذه علامة طيبة، حينما لا تتردَّد، كلكم يذكر قصة سيدنا عبد الله بن رواحة حينما عيَّنه النبي عليه الصلاة والسلام قائداً ثالثاً، وكيف أن القائد الأول حمل راية المسلمين، فقاتل بها حتى قُتل، وحملها بعده سيدنا جعفر، فقاتل بها حتى قُتل؟ فلما جاء دورُ عبد الله بن رواحة تردَّد، ويذكر المؤرِّخون أنه تردَّد بقدر هذين البيئتين:

**يا نفسُ إلا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت**

**إن تفعلي فعلها رضيت وإن تولَّيت فقد شقيت**

وأخذ الراية فقاتل بها حتى قُتل، لكنَّ النبي الكريم، قال: رأيتُ أخاكم جعفرًا وهو في الجنة، ورأيتُ أخاكم زيداً وهو في الجنة، ثمَّ سكتَ النبي صلى الله عليه وسلم، فلما سكتَ النبي قَلِقَ الصحابة الكرام على أخيه عبد الله، فقال الصحابة: ما فعل عبد الله؟ قال: ثمَّ أخذها عبد الله، فقاتل بها حتى قُتل، وإني لأرى في مقامه إزوراراً عن صاحبيه، درجته هبطت، فإذا كان الصحابة هبطت درجتهم بتردِّدهم ثلاثين ثانية، فكيف بنا؟! أما الآن فتضع له مقدمات، وتبيِّن له عظم العمل الصالح والجنة، ثمَّ يُعطيك عشرات الليرات .

### إليك نموذجان متنوعان من التجار في إنفاقهم للمال في عصرنا هذا :

أيها الأخوة، قال لي أحدهم: دخلتُ محلاً تجارياً في رمضان، والمحلُّ كبير وفخم، البضاعة بالملايين، فقال له: عندنا أيتام، ومدارس شرعية، قال: فإذا بي أراه أخرج عشر ليرات، والله لو رآها هو في الطريق لم يأخذها، أفهذه

قيمة الآخرة عنده؟ لذلك قال تعالى:

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾

(سورة آل عمران الآية: 133)

وهذا أحد التجار كذلك، أنا لا أركي على الله أحداً، لكني أظنه مؤمناً، كلما جاءت جمعيّة خيرية، أو لجنة بناء مسجد يقول لهم: دونكم الصندوق، خذوا منه ما تشاؤون، ولا تعلموني كم أخذتم؟ هذا الإنسان عاش عمراً لا بأس به، ولكنه أصيب بمرض خبيث في دمه، فجاءت مُخابرة إلى البيت، وفي البيت عدّة هواتف، ورُفعت سماعة، فرفع هو السماعة، وكانت المكالمة من المستشفى، وأخذ الموظف يقرأ له التقرير، معلناً أنّ القضية مُنتهية، ولا بدّ أن يموت بعد ثلاثة أيام! سمعها بأذنه، والقصة واقعية، وقصّها عليّ أناسٌ كثيرون، تلقى هذا الخبر بنفس رضية، لأنّ عمله صالح، ولأنه قدّم ماله أمامه، والآن سرّة اللّحاق به، كلُّ علاقاته الماليّة أنجزها أولّ يوم، واليوم الثاني طلب أولاده وأصهاره وبناته وودّعهم، وفي اليوم الثالث: دخل للحمام فاعتسل اغتسل درجة أولى بيده، دون أن يغسله أحد، واضطجّع على السرير حتى الساعة الثانية عشر، واستقبل أحد علماء دمشق الأجلاء، وهذا العالم مع أخوانه أجرّوا له تهليلة وقرآن حتى الساعة الواحدة، وفي الساعة الواحدة سلّم روحه لبارئيه، شيء لا يُصدّق، أن يتلقى الإنسان خبر وفاته بصدر رحب، وبنفس طيبة، يقول الله عز وجل في الحديث القدسي:

((عبدى أعطيتك مالا فماذا صنعت فيه؟ يقول: يا رب، لم أنفق منه شيئاً مخافة الفقر على أولادي من بعدى، يقول الله عز وجل: ألم تعلم أنّي أنا الرزاق ذو القوة المتين، إنّ الذي خشيتهُ على أولادك من بعدك قد أنزلتُهُ بهم، يقول لعبد آخر آتاه مالا: أعطيتك مالا فماذا صنعت فيه؟ يقول: يا رب، أنفقته على كلِّ محتاجٍ ومِسكينٍ لتتقتي أنّك خير حافظاً، وأنت أرحم الراحمين، فيقول الله عز وجل: أنا الحافظ لأولادك من بعدك))

[ورد في الأثر]

### سؤال وجه إلى عبد الرحمن بن عوف :

ففي التاريخ الإسلامي عشرة أشخاص يدخلون الجنّة على التحقيق، وما سواهم على الرّجاء، نحن نرجو الله، وفرق كبير بين التحقيق والرّجاء، وهو من أصحاب الشورى الستّة الذين اختارهم سيّدنا عمر من بعده، وكان مَحظوظاً في التّجارة، وكان يقول:

((لقد رأيتني لو رفعت حجراً لوجدت تحته فضةً وذهباً))

مرّة سألوه: بما حققت هذه الثروة يا عبد الرحمن؟ قال:

((والله ما استقلت ربحاً، ولا بعث ديناً، تجارة الدين ليست تجارة، بل هي ذلٌّ وتسوّلٌ وفقرٌ وهمٌّ))

هذا توجيّه صحابيٍّ جليل آتاه الله مالا، وكان له ثلاثة أطوار: فهو إما في المسجد، وإما أنه في غزوٍ مع رسول الله، وإما أنه في تجارته .

ما هي الفائدة التي يمكن أن نستنبطها من موقف ابن عوف من أخيه الأنصاري حينما عرض عليه

إن الصحابة الكرام كانوا مثلاً علياً، فلما هاجروا إلى المدينة أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يتأخروا اثنتين اثنتين، فسيّدنا بن عوف كان نصيبه سيّدنا سعد بن الربيع، وهو أنصاري، وسيّدنا ابن عوف مهاجر، ولما انتقل إلى المدينة كان بلا مال، تصوّر أنّ شخصاً ترك كل ثروته من أراضٍ ومصانع وسيارات ومسكن بالمالكي وأموالٍ ضخمة، ثمّ يذهب إلى مكانٍ آخر وهو مُفلس، هكذا كان الصحابة، تركوا كل أموالهم وهاجروا مع النبي صلى الله عليه وسلم، فسيّدنا سعد بن الربيع قال له: يا أخي أنا أكثر أهل المدينة مالاً، فانظر شطراً مالي فخذهُ، فقال له عبد الرحمن بن عوف: بارك الله لك في مالك، ولكنّ دلّني على السوق، هؤلاء الصحابة الكرام الأنصار الذين أظهروا أعلى درجات المؤثرة قابلهم المهاجرون بأعلى درجات العفة .

لذلك لم يسجل التاريخ أنّ مهاجراً واحداً أخذ شطراً مال أخيه الأنصاري، فإذا كان الإنسان ضيق ذات اليد فله طريقان: الطريق الأكمل أن تقول: يا رب أرزقني من فضلك، ولا تحوجني إلى أحدٍ سواك، ولا تجعل حاجتي إلا إليك، لأنّ الإنسان إذا أعطى فَعَطَاؤُهُ غير عطاء رب العالمين، قيل: احتجّ إلى الرجل تكن أسيرهُ، واستغن عنه تكن نظيره، وأحسن إليه تكن أميرهُ.

### إليك هذه القصة للعبرة :

رووا أنّ أحد الشيوخ كان له تلاميذ، فأعطى كل واحد منهم نصفَ ليرة ليشتري بها حاجتين، وأعطى تلميذاً عشر ليرات لتكون معه، فالذي أعطى المبلغ القليل تألم وانكسر خاطره، وشعر أنه ليس من مستوى الثاني، وأنّ الشيخ ليس واثقاً به، بينما أعطى الثاني مبلغاً كبيراً، فشعر الشيخ أنّ تلميذه استولى عليه هذا الشعور، فقال: نحن بحاجة إلى حمامٍ يا أبنائي، وبحمام السوق يوجد داخلي وخارجي وأوسطي، فأدخّلهم إلى الحمام، وإلى الغرفة الساخنة، وبدأ يقول لصاحب العشر ليرات: حاسبتني في هذه وهذه، فاضطرب وارتبك، أما صاحب المبلغ القليل فكان حسابه يسيراً، ربع ليرة بقُدونس، والربع الآخر كزبرة، وانتهى الحساب، إذاً: كلما كان نصيبك قليلاً كلما كان حسابك يسيراً، وكلما كثر المبلغ صار الحساب مُعقّداً أكثر فأكثر، هذه قصة رمزيّة فقط، المهم أنّ الإنسان إذا اختار الله له الكفاف فقد اختار له اليسير .

أنا أقول لكم: كل إنسان يشكو لي أنّ الأمور كما يقولون: ماشي الحال، ونحن نشغل قدر مصروفنا، كلما سمعتُ إنساناً يشكو لي هذه الشكوى، أقول له: لقد أصابك دعوة رسول الله، فالنبي عليه الصلاة والسلام، قال:

**((اللهم من أحببني فاجعل رزقه كفافاً))**

[ورد في الأثر]

فأكمل مستوى هو الكفاف، لا غنى فيطغي، ولا فقر فلا يحتمل، والنبي عليه الصلاة والسلام، قال:

**((بادرُوا بالأعمالِ سبْعاً، هل تنتظرونَ إلّا فقراً مُنسياً، أو غنى مُطغياً، أو مرضاً مُفسداً، أو هَرَمًا مُفندا، أو موتاً**

**مُجهزاً، أو الدجالَ فشرُّ غائبٍ يُنتظرُ، أو الساعةُ فالساعةُ أدهى وأمرُّ؟))**

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة في سننه]

فهذه هي القاعدة: من شأن الغني أنّ ماله يشغله عن ذكر الله، والدليل قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

(سورة المنفقون الآية: 9)

قال له: يا ابن عوف، إنك من الأغنياء وإن لم تتفق هذا المال في سبيل الله فإنك ستدخل الجنة حبواً، فأقرض الله يُطْلَقُ لك قَدَمَيْكَ، وعندئذ تدخلها خبياً، وانتهى الأمر، سيدنا ابن عوف منذ أن سمع هذا النصح من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يُقرض ربه قرضاً حسناً، فيضاعفه له أضعافاً كثيرة .

القوافل التي أنفقها عبد الرحمن بن عوف في سبيل الله :

باع يوماً أرضاً بأربعين ألف دينار، فكانت ثلاثة أثلاث: ثلث على أقربائه من بني زهرة، وثلث على أمهات المؤمنين، وثلث على فقراء المسلمين .

وقدم يوماً رضي الله عنه لجيوش المسلمين خمس مئة فرسٍ تشبه كل منها في أيامنا سيارة مرسيديس، أو شاحنة مرسيديس، شيء ثمين، هناك من سعرها خمسة ملايين، وحتى عشرة ملايين .

مرة قدم ألفاً وخمسة مئة راحلة في سبيل الله، وعند موته أوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله، وأوصى لكل من بقي ممن شهدوا بذراً بأربع مئة دينار، حتى إن عثمان بن عفان رضي الله عنه أخذ نصيبه من هذه الوصية رغم ثرائه، وقال: إن مال عبد الرحمن حلالٌ صفو، وإن الطعمة منه عافية وبركة، فإذا دعاك المؤمن، فو الله طعامه شفاء، فالمخلص سيد ماله، ولم يكن عبداً لِماله، لذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:

((تَعَسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدَّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

ما قيل عن إنفاق ابن عوف :

بلغ من سعة عطائه وعونه أنه كان يُقال: أهل المدينة جميعاً شركاء لابن عوف في ماله، وقد سمعتُ اليوم قصة عن رجل غني، كانت امرأة تأتي في الساعة السابعة إلى مكتبه لتنظف، وهو لا يعرفها في شكلها، إنما يسمع عنها، ويُعطئها أجرتها، مرة جاء في الساعة السابعة لأمر استثنائي، فرأى امرأة مُسِنَّة تشتغل، وتمسح، فقال لها: أنت كم تأخذين؟ فقالت له: ألفين وخمسة مئة في الشهر، فقال لها: كم ولدٍ عندك؟ فقالت: أربعة، فقال لها: اذهبي إلى بيتك، وارعي أولادك، وتعالِي كل شهر وخذي خمسة آلاف، قلبه رقيق، ما تحمّل ذلك المشهد، وهي على كبر سنّها تشتغل، فالغني أحياناً يصل إلى الأوج في إنفاق ماله، لأنها المسكينة وصلت إلى مرحلة التقاعد، فالدنيا لا تخلو من أهل الخير .

قالوا: أهل المدينة جميعاً شركاء لابن عوف في ماله، ثلث يُقرضهم، وثلث يقضي عنهم ديونهم، وثلث يصلهم ويُعطئهم، ألا تشتتهون غني مثل هذا الصحابي الجليل؟ .

## ما الذي يبكي عبد الرحمن بن عوف ؟

سَيِّدنا ابن عوف جيءَ له بِطعام الإفطار، وكان صائماً، فلما وَقَعَتْ عَيْنَاهُ فَقَدَ شَهِيئَتَهُ، وبكى، لماذا يبكي؟ قال: اسْتَشْهَدَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وهو خيرٌ مني، فَكَفَّنَ فِي بُرْدَةٍ إِنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ، وَإِنْ غُطِّيتَ رِجْلَاهُ بَدَتْ رَأْسُهُ، واسْتَشْهَدَ حَمْزَةُ، وهو خيرٌ مني فلم يوجد له ما يُكْفَنُ فِيهِ إِلَّا بُرْدَةٌ، ثُمَّ بَسَطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بَسَطَ، وَأَعْطَانَا مِنْهَا مَا أُعْطِينَا، وَإِنِّي لِأَخْشَى أَنْ تَكُونَ قَدْ عَجَلْتَ لَنَا حَسَنَاتِنَا .

أقول لكم هذا الكلام: إذا كثرت رفته المؤمن فهو في خوف من سوء المصير، أما إذا كان بالكفاف فهذه نعمة، هذه دار عمل وليس دار بسط ولا دار نعيم، هي دار ابتلاء وامتحان وطاعة ومجاهدة والتزام، فالمؤمن الصادق إذا شعر أن رفاهته أكثر مما يجب يحسّ بضيق، حاله حال طالب دخل إلى المدرسة، له أحلى طاولة، وأحلى كرسي، ومن جهة الشمس، هذه مدرسة للعلم وليست للتشمس .

واجتمع بعض أصحابه يوماً على طعام عنده، وما كاد الطعام يوضع أمامهم حتى بكى، فسألوه: ما يُبْكِيكَ يَا أبا محمد؟! فقال: لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما شبع هو وأهل بيته من خبز الشعير، وما أرانا أننا أُخْرنا لما هو خيرٌ منا .

زرتُ صديقاً يوماً وكان بيته صغيراً، فقال لي: لا تَوَاخِذْنَا لِصِغَرِ بَيْتِنَا، فَقُلْتُ لَهُ: وَاللَّهِ لَوْ تَقَرَأَ عَنِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي هُوَ سَيِّدُ الْخَلْقِ وَحَبِيبُ الْحَقِّ لَمَا اسْتَحْيَيْتَ بَيْتِيكَ، كَانَ إِذَا صَلَّى قِيَامَ اللَّيْلِ تَحَوَّلَ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رِجْلَيْهَا، لِأَنَّ غُرْفَتَهُ لَا تَنْسَعُ لِصَلَاتِهِ وَنَوْمِهِ، وَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ قَذَفَ إِلَيْهِ وَسَادَةً مِنْ أَدَمٍ مَحْشُوءَةً لَيْفًا، وَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ عَلَيْهَا، قُلْتُ بَلْ أَنْتَ، فَقَالَ: بَلْ أَنْتَ، فَجَلَسْتُ عَلَيْهَا وَجَلَسَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْأَرْضِ، لَيْسَ فِي بَيْتِ النَّبِيِّ إِلَّا وَسَادَةٌ وَاحِدَةٌ!!، هذه هي النبوة، النبوة قُدوةٌ وَتَقَشُّفٌ وَزُهْدٌ وَلَيْسَ مَلَكًا .

## ماذا نستنبط من هذين الموقفين لابن عوف ؟

سَيِّدنا عمر قبل أن يتوفاه الله عز وجل مُتَأَثِّرًا بِجِرَاحِهِ اسْتَأْذَنَ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُدْفَنَ فِي حُجْرَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثُمَّ اسْتَدْرَكَ وَقَالَ: أَنَا خَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ، وَلَعَلَّهَا قَبِلَتْ خَجَلًا مِنِّي، بَعْدَ أَنْ أَمُوتَ اسْأَلُوهَا مَرَّةً ثَانِيَةً، فَإِنْ قَبِلَتْ فَافْعَلُوا، فَهُوَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا أَرَادَ أَنْ يَسْتَعْمِدَ سُلْطَنَتَهُ فِي أَخْذِ مُوَاظَمَتِهَا، وَالسَّيِّدَةُ عَائِشَةُ أَرَادَتْ أَنْ تَخْصَّ نَفْسَهَا بِشَرَفِ الدَّفْنِ فِي حُجْرَةِ النَّبِيِّ .

فهذا الصحابي الجليل وهو على فراش الموت أشارت إليه أنها توافق على أن يُدْفَنَ فِي حُجْرَتِهَا إِلَى جِوَارِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَلَكِنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ عَلَى حَيَاءٍ كَبِيرٍ، فَقَدْ اسْتَحْيَا أَنْ يَكُونَ مَعَ هَؤُلَاءِ الْكِبَارِ، ثُمَّ إِنَّهُ كَانَ عَلَى مَوْعِدٍ وَثِيقٍ مَعَ عَثْمَانَ بْنِ مِظْعُونَ، إِذْ تَوَاتَقَا ذَاتَ يَوْمٍ أَيُّهُمَا يَمُوتُ بَعْدَ الْآخَرِ يُدْفَنُ إِلَى جِوَارِ صَاحِبِهِ، فَهَذَا وَعْدٌ .

وهو على فراش الموت، قال: إِنِّي أَخَافُ أَنْ أُحْبَسَ عَنْ أَصْحَابِي لِكَثْرَةِ مَا كَانَ لِي مِنْ مَالٍ، مَعَ كُلِّ هَذَا الْإِنْفَاقِ

وهذا السَّبْقُ والحُبُّ والمؤاترة، عندئذٍ ذكر قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((عبد الرحمن بن عوفٍ في الجنة))

هذه البشارة طمأننت قلبه وجعلته قريراً العين وتلا قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ  
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

(سورة البقرة الآية: 262)

### الخير يعم الجميع :

حضرت مرةٌ حفل ختام مسابقة القرآن الكريم، فتكلم وزير الأوقاف كلمة تأثرت لها، قال : جزى الله عنا العلماء الذين علموا القرآن، وأشكر هؤلاء الطلاب الذين تدافعوا إلى حفظه، ولا أنسى أصحاب الأموال الذين تبرعوا بأموالهم تكريماً لهؤلاء الأطفال، وحينها قال رجل: كلُّ من حفظ القرآن فله مني عشرة آلاف دائماً، وسمعتنا أن أحداً تبرع لهم جميعاً بعمره، وأخذ على حسابه سبعين طالباً، فقال الخطيب: المال شقيقُ الروح، فليس الفضل للعالم فقط، بل وللغني المؤمن، فهذا بعلمه وهذا بماله، لهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام:

((لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَ عَلَيْهِ هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

فليست العظمة عند الله أن تكون داعيةً فقط ، أصحاب الأموال بإنفاقهم وسخائهم وبذلهم يصلون إلى مرتبة عالية عند الله عز وجل .

والحمد لله رب العالمين